المحاضرة 7: النظريات في الأنثروبولوجيا (2/ النظرية الانتشارية)

مقدمة:

تعتبر النظرية الانتشارية من أهم النظريات في الأنثروبولوجيا وقد وجدت من خلال انتقادها للنظرية التطورية، وقد وجهت هذه النظرية أنظار الباحثين نحو دراسة عدد من المواضيع المهمة مثل الانتشار الثقافي والاتصال الثقافي والاستعارة الثقافية.

نشأة النظرية الانتشارية:

ظهرت هذه النظرية على يد (ولهلم شميدت)[1] في ألمانيا مع نهاية القرن 19 بهدف استبدال قوانين التطور بقوانين الانتشار بعد أن لاحظ أنصار هذا الاتجاه وجود سمات ثقافية متشابهة في مجتمعات مختلفة ممَا يدل على وجود تواصل وتبادل ثقافي بين هذه المجتمعات. وعرفت النظرية تطورا على يد العالم ألفريد كوبرز من خلال كتاب (انتشار المثيرات) سنة 1940 حيث نادى الكاتب في هذا المؤلف بضرورة تبادل العادات واللغات بين المجتمعات المختلفة لأنَ ذلك سيكسب العقل البشري معلومات جديدة تساعده على فهم الحياة .

النظرية الانتشارية في الأنثروبولوجيا:

بدأ الانتشار كمدرسة فكرية أنثروبولوجية في النمو مع أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 ويفترض دعاة الانتشارية أنَ الاتصال بين الشعوب نتج عنه احتكاك ثقافي وانتشار لبعض السمات الثقافية وينطلقون من الافتراض بأنَ عملية الانتشار تبدأ من مركز ثقافي محدَد وتنتقل إلى أجزاء من العالم عن طريق التواصل بين الشعوب. وقد وجدت هذه النظرية صدى في ألمانيا والنمسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ممَا أدى إلى ظهور ثلاث مدارس مختلفة هي:

1ـ المدرسة البريطانية: ويمثلها (إليوت سميث) و(وليم بيري) و(ريفرز) وترى بأنَ هناك مركز رئيسي للحضارة هو مصر التي عرفت تطورا في عهد الفراعنة ومنها انتقلت الثقافة إلى كثير من أنحاء العالم مثل العراق والمكسيك واليابان التي أعجبت كلَها بأهرامات مصر وقلَدتها من خلال الأبنية الضخمة الموجودة في هذه الحضارات ونفس الأمر ينطبق على انتشار المهن والحرف كصناعة النسيج والخزف وعلى الفنون ونظم الحكم والإدارة والدين.

[1] عالم أنثروبولوجيا ولغوي ومؤرخ الدين وكاهن كاثوليكي وأستاذ جامعي من ألمانيا ولد سنة 1868 وتوفي سنة 1954

2- المدرسة الجرمانية (ألمانيا والنمسا): ويمثّلها (جروبينر) و(شميدت) و (راتزل)، وترى بأنَ هناك مجموعة من البؤر أو المراكز الثقافية في أماكن مختلفة من العالم ولا يوجد بؤرة واحدة فقط كما ترى المدرسة البريطانية، وهذه المراكز الحضارية تشترك في سمات ثقافية واحدة، وقد تبنى (فريدريك راتزل) رائد هذه المدرسة منهجا تاريخيا وجغرافيا وركَز على أهمية الاتصالات والعلاقات الثقافية بين الشعوب ودور تلك العلاقات في نمو الثقافة وكيف ساهم الاحتكاك الثقافي في انتشار الصفات الثقافية من جيل لآخر، بينما ركَز (كوبرز) على أهمية الدراسات المقارنة للصفات الثقافية من أجل معرفة العوامل المكانية والزمانية التي أثرت على انتشار الثقافة.

3- المدرسة الأمريكية: ويمثلها (كلارك ويسلر) و(كروبير) و(كلاكهون) وترى بأنَ الملامح المميَزة لثقافة ما وجدت في الأوَل في مركز ثقافي جغرافي محدَد ثم انتقلت إلى مراكز أخرى كما ترى بأنَه يمكن وجود تطوَر متوازي مستقل في عدَة مراكز لأنَ الإنسان مبتكر بطبعه، ويعتقد (كروبير) بأنَ الانتشار يخلق دائما بعض التغيير في الثقافة المستقبلة.

شرح لفكرة الدائرة الثقافية:

تحتوي فكرة الدائرة الثقافية على نقطتين مهمتين هما: وجود الدائرة الثقافية وكينونتها، يعرَف (شميدت) الدائرة الثقافية بقوله: **" إذا احتوت ثقافة كاملة على كل شيء: النواحي المادَية والاقتصادية والاجتماعية والاعتيادية والدينية فإننا نطلق اسم الدائرة الثقافية لأنَها متكاملة وتعود على نفسها مثل الدائرة ،إنَها تكفي نفسها بنفسها ومن تمَ تؤمَن استقلال وجودها، وهي أي الثقافة في حالة إذا ما أهملت أو فشلت في إرضاء واحد أو أكثر من الاحتياجات الإنسانية الهامَة تتيح حدوث تعويض من ثقافة أخرى، وكلما زاد عدد عناصر التعويض تقل هذه الثقافة عن أن تكون دائرة ثقافية مستقلة**، ويضيف (شميدت) بأنَ كل مفردات الثقافة متماسكة تماسكا عضويا وليست مجرد ارتباطات تلقائية (www.Aranthropos.com)

رواد النظرية الانتشارية:

1- فرانس بواس: (1942/1858) عالم أنثروبولوجيا ألماني المولد أمريكي الجنسية رفض المقاربة التطورية وأكَد أنَ الحضارة تتطور تاريخيا من خلال التفاعل بين الجماعات البشرية.

2- الفريد لويس كروبر: (1960/1876) اهتم بدراسة الآثار واللسانيات الأنثروبولوجية وساهم بإيجاد علاقة بين علم الآثار والثقافة، وهو صاحب نظرية الانتشار الثقافي والتي تناولت فكرة انتقال العادات والتقاليد واللغة والدين من منطقة لأخرى

3- فردريك راتزل: (1904/1844) درس الجيولوجيا والتشريح وعلم الحيوان، وهو رائد إحدى المدارس الانتشارية تبنى منهجا تاريخيا جغرافيا بتأثير من المدرسة الجغرافية الألمانية وركّز على دور الاتصال والعلاقات الثقافية بين الشعوب ودور تلك العلاقات في نمو الثقافة

4 - ولهلم شميت: (1954/1868) أكّد على وجود ثقافات أزلية (أقزام إفريقيا وآسيا، الفيدا في سيريلانكا، السينوى في الملايو، والكوبو في سومطرة) تمثل الدائرة الثقافية الأولى بينما تتمثل الدائرة الثقافية الثانية في الثقافات الرعوية في مناطق سيبيريا وأواسط آسيا (أين تمَّ تدجين حيوانات الرنة والحصان والماشية والماعز).

5 - إليوت سميث: (1937/1871)هو عالم اجتماع وأنثروبولوجيا أسترالي، درس الطب وعلم التشريح، قام بدراسة الحضارة المصرية ولاحظ انتشار عناصر من هذه الثقافة في مناطق كثيرة من العالم عن طريق الاحتكاك والتواصل (مثلا التشابه في بناء الاهرامات بين المصريين والمكسيك.

تفسير الثقافة من منظور انتشاري:

- الانتشار الثقافي لا يمثل كل أحداث التاريخ لأن دراسة العناصر الثقافية لا تحل محل الوثائق التاريخية لكنها تمثل إضافة مهمَة للتاريخ.

- الانتشار والنقل لا يسير حسب قواعد معيَنة لأنَ هناك فرص للاختيار (إما القبول او الرفض أو التعديل في السمات الثقافية).

- كل حالة من حالات الانتشار حالة خاصَة ويجب أن تعالج لوحدها (كحالة قائمة بذاتها ولها ظروفها الخاصة).

- تقوم الدراسات الانتشارية على المتشابهات الثقافية حتى في الحالات التي لا يمكن التأكد فيها من وجود اتصال بين الثقافتين المتشابهتين.

Diffusionism :

-The theory that certain similar practices inventions, etc. that exist among different cultures or peoples are solely or primarily

the result of diffusion as opposed to independent discovery or development.

-The theory or principle that diffusion is the main force in cultural innovation and change (www.collinsdictionary.com).

Diffusionism and acculturation:

Diffusionism as an anthropological school of thought was an attempt to understand the distribution of culture in terms of the origin of culture traits and their spread from one society to another. Versions of diffutionist thought included the conviction that all cultures originated from one culture center (heliocentric diffusion); the more reasonable view that cultures centers (culture circles); and finally the notion that each society is influenced by others but that the process of diffusion is both contingent and arbitrary (anthropology.ua.edu)[2]

Acculturation: Alfred Kroeber (1948) stated that acculturation consists of those changes in one culture brought about by contact whit another culture, resulting in an increased similarity between the two cultures. This type of change may be reciprocal, however, very often the process is asymmetrical and the result is the (usually partial) absorption of one culture into the other. Kroeber believed that acculturation is gradual rather than abrupt. He the process of acculturation by considering that diffusion contributes to acculturation and that acculturation necessarily involves diffusion. He did attempt to separate the two processes by stating that diffusion is a matter of what

[2] Bv Gail King, Megan Wright and Michael Goldstein, **Diffusionism and Acculturation**, the University Of Alabama, Department of Anthropology.

happens to the elements of a culture; whereas acculturation is a process of what happens to a whole culture.[3]

[3] Idem